

ليكن خُلقنا.. القرآن كتاب إِن



منذ أن خُلِقَ الإنسان على هذه الأرض وهو يبحث عن الحقيقة وينشد الحقّ، فحينما يصيّب وأحياناً يُخطئ. وقد يُقال له إنّ الحقيقة هي هذه، وهي ليست كذلك، وأنّ الحقّ هو هذا ولكنّه مقدّم بلباس الباطل. فلم نذهب بعيداً في التفتيس عن الحقّ وهو قريب في متناول أيدينا، فهو واضح جليّ في القرآن الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ) (فصلت/ 42)، (وَقُلْ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَأْتِهِ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفُرْ) (الكهف/ 29). إنّه القاعدة، والمنطق، والمنبع، والمصدر، والمرجع لفكرنا وحياتنا (يَا أَيُّهَا الْأَذَّى نَآمَدُوا اسْتَجَيْدُوا لِلَّهِ وَلِلَّهِ سُولِّيْدَادَاءَكُمْ لِمَا يُحْكِيمُ) (الأనفال/ 24). فهو الذي يعطينا التصور عن إِنَّ الْوَجُودَ وَالْحَيَاةَ وَالْمَجَمِعَ وَالشَّرِيعَةَ. إنّه القرآن الكريم روح أواه إِنَّ تَبَارِكَ وَتَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الطَّّلُّمَاتِ إِلَى النُّورِ، يَقُولُ تَبَارِكَ وَتَعَالَى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْدَنَا إِلَيْنَكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ زَشَاءُ مِنْ عِبَادَنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى/ 52)، فبقدر إقبالنا على القرآن يكون إقبال إِنَّ تَبَارِكَ وَتَعَالَى علينا.

إنّ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) الذي بُعِثَ لِيَتَمَّ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ، هي زراعة القرآن وصناعته وتربيته، فما من خُلُقٍ كريم دعا إليه القرآن إِلَّا ونمودجه الحيّ هو النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وما من خُلُقٍ بغيض نهى عنه القرآن إِلَّا وتذرّه النبيّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عنه. فكما صنع القرآن شخصية بهذا المستوى الخلقي الرفيع، فهو قادر على صناعة شخصيات على مستوى خلقي راقٍ، فلا تكاد تجد مسلماً حائزاً على مكارم الأخلاق إِلَّا وتجد أنّ للقرآن أثره العميق في ذلك.. فخذ قسطك من الأخلاق منه. يمكن أن نشبّه عطاء القرآن بالמטר، فإذا تهاطلت الأمطار فإنّ هناك أودية تستقبله بالأحسان فينبت زرعها ومرعاهما، وهناك أرضاً سبخة لا ينفذ منها الماء.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّ القرآن لا يُقرأ هدرمة، ولكن يرتَلْ ترتيلًا، فإذا مررت بأية فيها ذكر الجنّة فقف عندها وسل إِنَّ عزَّ وجلَّ الجنّة، وإذا مررت بأية فيها ذكر النار، فَقَفْ

عندما وتعود به من النار».

هذا المنهج في طريقة قراءة القرآن يمكن توسيعه على النحو التالي:

إذا مررت بآية فيها استغفار.. استغفر الله من ذنبك ومعاصيك. وإذا مررت بآية فيها رحمة.. اطلب الرحمة من الرحمن الرحيم. وإذا مررت بآية فيها اعتبار وتفكير.. فتدبر وتأمل خاصّة في أحوال الأُمم الماضية وما جرى فيها وعليها حتى كان ذلك أحدهم. وإذا مررت بآية فيها شكر.. فتذكّر بعض نعم الله عليك، فشكرها وأسأل الله دوامها. وإذا مررت بآية فيها توبة.. فاسأله الله التوبة. وإذا مررت بآية فيها دعوة للعمل الصالح.. فقل: «لبيك اللهم لبيك.. عدو وأوف بالوعد. وإذا مررت بآية فيها دعاء.. فادع به، كما لو كنت قائله أو سائله».

وهكذا، فإذا أردت أن تنتفع من آيات القرآن أكثر، وتستمتع بها أكثر، وتندفع للعمل بها أكثر، فقف عندها كما تقف عند إشارات الضوء التي تدل كل واحدة منها دلالة معينة.

يقول أحد المتخصصين في الدراسات القرآنية : «إن القرآن الكريم يمنحك في سوره ومقاطعه آياته البيّنات، بل حتى في أسماء سوره.. مفاتيح عمل.. يعطينا إشارات.. شفرات.. يمكن إذا أحسنناها للإنسان إليها وتنفيذها أن نضع خطواتنا على البداية الصحيحة.. إنّنا لنتذكّر هنا أسماء ثلاث سور من كتاب الله، تحمل إحداها اسم (القلم) والأخرى (الشوري) والثالثة (الحديد)، والمعادلات الموضوعية لهذه العناوين الثلاثة هي: المعرفة، الحرّية والقوّة..» وهل حاجات حياتنا المعاصرة الأساسية غير هذه؟!.